KARL BROCKELMANN كارل بروكلمان

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

سبعون سنة قضاها هذا العلامة الالماني البروسي يعمل كالساعة المضبوطة، على الاقل عشر ساعات فى اليوم فى خدمة الفكر العربي وتاريخه ، وأضاف الى تاريخ الأدب العربي تاريخا عاما للعرب سجل فيه كفاحهم نحو الاستقلال .

■ موضوع المستشرقين وأعمالهم مثار جدل طويل عند أهل العلم والثقافة والسياسة فى بلادنا منذ أمد طويل ، والاتجاه العام عندنا يميل الى الزهد فى هذه الأعمال واعتبارها كلها أطرافا من حملة كبرى على العرب وكيانهم ومؤامرة تدار عليهم من مطالع العصر الحديث . والباحث المنصف يقف حيران أمام اتجاه كهذا ظاهر الخطأ ، فهو يجد أنه من الخسارة أن يزهد الناس فى هذه الأعمال كلها ويسيئوا الظن بأصحابها أجمعين . ولكنه يرى فى نفس الوقت ما أصاب العرب على أيدى الغرب خلال عصور الاستعمار ، ثم هذا التأييد الذى يسبغه الغربيون - أو غالبيتهم العظمى على الأقل - على أعمال العدوان على أوطان العرب وما يقدمونه من سلاح ومال وتشجيع للمعتدى لكى يستمر فى عدوانه ويثبت أركان هذا العدوان ، ويحس الانسان آخر الأمر أن جمهور الناس عندنا معذورون الى حد كبير اذا أساءوا الظن فى أهل الغرب جملة وانصرفوا عن المستشرقين وأعمالهم لأنهم غربيون ولا يمكن أن يخدموا - فى رأى هذا الجمهور - الا مصالح غربية .

نقول « جمهور الناس » ، لأن الجماهير يسيطر عليها بطبعها الحذر والخوف من كل غريب والابتعاد عن مواطن الأخطار ، ولكن قادة الرأى ، وأهل العلم غير معذورين ، لأنهم يعلمون أن المستشرقين فيهم ناس كثيرون قدموا لحضارتنا وعلومنا أجل الخدمات ، ونشروا فضلنا وعرفوا الناس بخير ما فينا ، وفيهم كثيرون كذلك وقفوا الى جانبنا فى حوالك فترات الصراع الماضية ، ويقفون الى جانبنا اليوم فى معركتنا الراهنة ، ومنهم اليوم من يلقون عنتا شديدا من سيطرة الصهيونيين على الكثير من مراكز العلم والأبحاث والاعلام فى الغرب كله ، وهؤلاء جديرون منا بكل تأييد فى هذه الأيام ، لأننا بحاجة الى كل صوت صديق خاصة اذا كان صاحب مركز فى الجامعات ومراكز الأبحاث ، وخصومنا لا يألون جهدا فى تأييد أصدقائهم وأدعيائهم حتى لقد عرفت واحدا منهم اشتهر بتأييد الصهيونيين ، فأعطوه بطاقة يستطيع بها أن يسافر على أى خط من خطوط الجو لحضور المؤتمر الذى يريد ، فاذا وصل الى بلد ما قدم اليه الأعداء ما يطلبه من العون . وما كتب هذا الرجل سطرين الا نشروهما له فى كتاب وقدروا له الاتعاب فى سخاء ، فاصبح هذا السخيف بلاء شديدا علينا فى كل مكان ، وما ذهبت الى مؤتمر الا وجدته عاملا نشيطا لايدخر جهدا فى الاضرار والايذاء.

ونحن لا نطالب بشيء من هذا ، وانما نرجو التريث واعادة النظر ، لأن أقل ما نستطيعه هو احسان الظن بمن هو أهل للظن الحسن ، والانتفاع بما فى الكثير من أعمال المستشرقين من خير وفائدة ، والاعتراف بالفضل لذويه والتدليل على أننا نحن العرب نعرف كيف نقدر الرجال وأعمال الرجال ، ونعرف كيف نشكر للعالم علمه وللصديق صدقه .

كيف يصلون الى اتقان لغتنا وعلومها

وكأنى ببعض اخواننا يتعجبون من اقتحام أهل الغرب لميادين نحسب أنها قصر" علينا لا يستطيع التمكن من أسرارها غيرنا كعلوم الدين وفقه اللغة ومذاهب النحويين ، وبدائع الشعر والشعراء . مما لا يستطيع التمكن منه الا عربى جنسا ولسانا

مستشرق أسدى للفكر أجل الخدمات

تجري العروبة في دمه وينطق بلغتها منذ المولد لسانه . ولهؤلاء جميعا نقول ان اللغة العربية لغة كغيرها من لغات بني آدم ، يتقنها من درسها وأخلص لهذا الدرس ، وفي الناس موهوبون في اللغات يحصلون في الوقت القصير ما لا يحصله غيرهم في الوقت الطويل ، فاذا عكف واحد من هؤلاء على لغة العرب وانصرف الى دراستها سنوات لم يلبث أن تمكن منها وملك ناصيتها . فاذا تمكن من العربية أصبح كأي عالم من علمائنا يقرأ الكتب الصفراء والمخطوطات العسيرة دون مشقة ويستطيع بهذا أن يحصل من العلم بأي فرع من علومنا ما يريد .

ثم ان الذين يتخصصون في الدراسات العربية من أبناء الغرب يكونون عادة من طلاب أقسام اللغات القديمة أو السامية ، ومعظمهم متمكنون من اللغات اليونانية واللاتينية ملمون بشيء من اللغات السامية كالعبرانية والسريانية ، فاذا دخل أحدهم ميدان العربية بعد ذلك دخله ولديه حصيلة وافرة من اللغات وعدة نافعة من الدربة عليها والمعرفة بأصولها . فلا يلبث أن يتقنها . أضف الى ذلك أنهم يدرسون العربية - كما يدرسون غيرها - على طريقة ومنهج منظم يقوم على قواعد علمية دقيقة قلما تخطىء ، فاذا كنا نحن نصل الى أسرار لغتنا بالسليقة والطبع فهم يصلون اليها بالطريقة والمنهج والنظام ، واذا كنا نحن نعتمد على الذاكرة والذكاء فانهم يعتمدون الى جانب ذلك على البطاقات والفهارس والسجلات والتقييدات ، ولقد نظر المرحوم محب الدين ابن الخطيب في فهرس الفاظ القرآن الذي وضعه جستاف فلوجل *Gustav Flugel* وجعل يتعجب ويتأسف على ما أضاع من وقت في البحث عن الآيات القرآنية ، لانه كان يعتمد على الذاكرة في الاستشهاد بالآيات ، والذاكرة خوانة ، وهي لا تساعفك بكل آية في الموضوع في اللحظة التي تريد ، أما فهرس فلوجل فلا تشذ منه آية لأنه فهرس بكل لفظ ورد في القرآن وكل موضع ورد فيه حتى لو كان حرف جر أو عطف ، وها هو فهرس فلوجل بين يديك في الصورة المحسنة التي عملها فؤاد عبد الباقي وسماها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، فانظر فيه لترى كيف انه لا يدع لخيانة الذاكرة مجالا .

ورجال العلم من أهل الغرب يسيرون في دراستهم على نفس المنهج والطريقة السنوات تلو السنوات دون اهمال أو تعجل أو استهانة بشيء داخل في ميدان اختصاصهم ، ولا يكفون العمر كله يقرأون ويفيدون ، فلا غرابة أن تتحصل لهم على السنوات ثروات من المعارف ندهش نحن لأمرها اذا رأيناها .

ولقد ترجمت من نحو عام مقالا للعلامة الالماني اوتو شبيس عن طب الأسنان عند العرب ، واحتجت الى أصول نصوصه لكي أوردها بأصولها في العربية فطلبتها منه فارسل الى البطاقات التي رجع اليها في كتابة المقال ، فاذا ببعضها قد عمله سنة ١٩١١ واستمر بعد ذلك كلما عثر على شيء في الموضوع قيده ، فلما اكتملت لديه المادة الصالحة كتب المقال من متفرقات جمعها خلال ٥٦ سنة ! والمقال بعد ذلك يقع في ٣٢ صفحة ولكن مادته لا تتجمع الا في العمر الطويل .

ولقد ألف المستشرق الهولندي اينهارت دوزي « ملحق القواميس العربية » جمع فيه الألفاظ التي لا توجد في قواميس اللغة التقليدية ، وهو عجيبة من عجائب التاليف ، لا ترجع اليه مرة الا تعجبت من سعة الاطلاع واتساع مداه ، ولكن دهشتك تخف شيئا اذا عرفت أن هذا الرجل قضى قرابة الأربعين سنة ما مر خلالها بلفظ عربي لا يعرفه الا كشف عنه في الصحاح والتاج واللسان والقاموس المحيط ، فاذا لم يجده قطع بانه دخيل على اللغة وقيده في بطاقة واستخرج معناه من السياق ، فاذا تكرر في مراجع اخرى قام بتسجيل ذلك حتى اكتملت لديه مادة ملحق القواميس هذا .

ولقد جاء ذكر هذا القاموس مرة فقال أحد السادة ذوي العلم الواسع : لقد استدركت عليه في أكثر من مائة موضع ، فقال بعض من حضر : يا أخانا ، هذا رجل اجتهد وتعب وجمع وألف ، فاجتهد أنت أيضا واتعب واجمع وألف لكي يستدرك الناس عليك ، أما أن تجلس على السياج وتدلي ساقيك وتستدرك على الناس وتعد أخطاءهم فأمر هين ، والذين يعملون ويخطئون أفضل بكثير من الذين لا يخطئون لأنهم لا يعملون .

أمثال هؤلاء جديرون منا بكل شكر وتقدير

والخلاصة أن المستشرق اذا صدقت نيته وأخلص للعلم سريرته وتجرد من نوازع العصبية القومية أو الدينية وابتعد بنفسه عن مطالب

السياسة وأهلها كان جديرا بأن يجيد ، وكان حقيقا منا بالتقدير حتى لو اختلفنا معه في الرأي في هذه المسألة أو تلك ، ومن هذا الطراز كثيرون من الحاضرين والماضين من المستشرقين نعرفهم بأعيانهم ونذكرهم بأعمالهم ومواقفهم .

ومن منا ينسى فضل انو ليتمان *Enno Littmann* ذلك البحر الواسع في العربية ولهجاتها حتى لو تكلم أمامه عراقي عرف ان كان من البصرة أو السليمانية ، وفي أثناء السنوات التي عمل فيها في جامعة القاهرة كان يستمع للطالب المستجد دقائق ثم يقول ان كان من السنبلاوين أو كوم حمادة أو أبو قرقاص . ثم ترجم ألف ليلة وليلة أكمل ترجمة لها في أي لغة أوروبية وأكمل الترجمة بمجلد كامل هو أوفى دراسة لهذا الأثر الفني القصصي الخالد .

وكيف لا نقدر يوسف فون هامر بورجستال *Joseph Von Hammer Purgstal* ذلك النمساوي الموهوب الذي أتقن العربية والفارسية والتركية وألف فيها جميعا ، وفتن بالثقافة العربية حتى جعل جمع مخطوطاتها شغله الشاغل أيام كان قنصلا ومستشارا للخارجية النمساوية ثم مستشارا للدولة ، حتى لقد أقام الدنيا وأقعدها عندما استولى الفرنسيون على ٣٠٠ مخطوط عربي من المكتبة الوطنية لفينا عندما غزوا النمسا أوائل القرن الماضي ، ولم يهدأ له بال حتى استرد منها مائتين ، ثم ألف تاريخا شاملا للادب العربي طبع فيما يزيد على ٧٠٠٠ صفحة ، ترجم فيها لنحو ٩٩١٠ من أعلام الفكر العربي .

أو كارلو الفونسو نالّلينو *Garlo Alfonso Nallino* الذي قضى العمر في دراسة علم الفلك عند العرب وأظهر للناس كشوفهم في هذا المجال . لقد ختم هذا الايطالي الجليل محاضراته في الجامعة المصرية القديمة بعبارة لا يقرأها عربي الا هزت فؤاده ، فقد أهاب بشباب العرب بأن يواصلوا البحث والدرس ليعيدوا مجد الأجداد ويثبتوا للناس « أن العلم كنز من كنوز الناطقين بالضاد » .

وغير هؤلاء كثيرون جدا يضيق عنهم الحصر أخلصوا لدراساتنا وشاركونا في البحث عن كنوز علومنا ، ومنهم من اجتهد في تكوين أبنائنا تكوينا علميا صحيحا .

هؤلاء جديرون من العرب بكل تقدير ، واذا كنا نعرف المغرضين والمتعصبين ونجتهد في دفع أذى مؤلفاتهم فاننا حقيقيون بأن نعرف فضل المجيدين والمحسنين ، لأن لغتنا وعلومنا ليست ملكا لنا بل هي تراث انساني عام يدرسه الناس في أوروبا كما يدرسونه في عالم العرب ، ومن واجبنا أن تنشط دراساتنا في كل بقاع الارض ، وأن يكون لثقافتنا من يقوم بها في كل مكان .

كارل بروكلمان

وفي مقدمة أولئك الأفذاذ الذين قدموا للدراسات العربية في العالم أجل الخدمات كارل بروكلمان *Carl Brockelmann* ، صاحب الكتاب المشهور في تاريخ آداب اللغة العربية *Geschichte der Arabischen Literatur* الذي أكمل سلسلة معاجم أسماء الكتب والمؤلفين العرب وتراجم حياتهم وأهم مؤلفاتهم . لقد اشترك في كتابة هذه السلسلة أعلام من أمثال ابن خلكان وياقوت الحموي وابن النديم وحاجي خليفة ، ثم جاء هذا الالماني الفريد فاربى على كل ما فعله غيره ، فان أولئك الذين ذكرناهم آنفا كتبوا عن أهم « المؤلفين والمؤلفات » ، فجاء بروكلمان وكتب عن « كل » المؤلفين والمؤلفات ، أي أنه عمد الى الاستيفاء والشمول ، وهذا هو المطلب العسير ، لأنك اذا قلت انك ستذكر « أهم » المؤلفين فتحت لنفسك بابا واسعا للاعتذار عن النسيان وتبرير السهو ، أما اذا قلت « كل » المؤلفين فقد ألزمت نفسك بالاحصاء الشامل وأقفلت على نفسك باب الاعتذار والتبرير ..

وسنتحدث عن تاريخ الأدب العربي هذا في فقرة قادمة ، ولكني أذكر لك الآن بعض المعلومات عن هذا الرجل الجليل .

بروكلمان من ابناء بروسيا الشرقية معقل الجنس البروسي الذي شاد مجد المانيا في كل ميدان تقريبا . من هناك أيضا جاء بسمارك *Bismarck* وكنط *Kant* . ولد سنة ١٨٦٨ في روستوك *Rostock* ، بليدة صغيرة قرب كونجزبرج *Konigsberg* ، ودرس فيها ثم في برسلاو *Breslau* ، واتجه أولا الى التاريخ والدراسات اليونانية واللاتينية ، وعندما انتقل الى جامعة استراسبورج على ضفاف نهر الرين اتصل بالأستاذ تيودور نلدكه *Teodor Noldeke* وكان شيخ الدراسات السامية والعربية في المانيا

اذذاك ، فتتلمذ عليه ، واتجــه الى دراســات الساميات ، ولم يلبث أن أصبح أقرب تلاميذ نلدكه الى نفسه ، واشتدت صلته به وفتــح له أبواب مكتبته وأوراقه ، فأفاد منها بروكلمان فائدة كبرى . وفي سنة ١٨٩١ حصل على الدكتوراه في الدراسات السامية ، وكان موضوع رسـالته « العلاقة بين تاريخي الطبري وابن الأثير » وهي دراسة أصيلة مكنت لبروكلمان من التعمق في أصول الروايات التاريخية العربية ، وكان بطل ذلك الميدان اذذاك هو المستشرق العلامة يوليوس فلهاوزن *Iulius Wellhausen* صاحب الدراسات الرائعة في السيرة النبوية والدولة العربية .

وكان الاستشراق في المانيا يجتاز في ذلك الوقت مرحلة خطرة في تاريخه ، لأن المانيا كانت تجتهد في أواخر القرن الماضي في أن تلاحق ركب المستعمرين وتعمل على أن يكون لها هي الأخرى نصيب في افريقية وآسيا . وكان بسمارك غـير متحمس للمستعمرات ولكن القيصر فلهلم الثاني كان يسعى جاهدا لتكون له امبراطورية وراء البحار يضاهي بها أقاربه ملوك انجلترا ، ومن هنا زادت عنايته بأقسام الدراسات الشرقية في جامعـــات بلاده وأغدق عليها الاموال ، وظهر اتجاه استعماري في الاستشراق الالماني تزعمه كارل هاينريش بيكر *Garl Heinrich Becker* ، وكان اذذاك مستشرقا شابا طموحا شديد الحماس لالمانيا ، فانشأوا له معهدا للدراسات الشرقية في برلين ، ووضعوا تحت يده امكانات كبرى . وكانت المانيا قد حصلت على افريقية الشرقية الالمانية (تانزانيا الحالية تقريبا) وعاصمتها دار السلام ، فانشأ المعهد الالماني فيها فرعا واتجه بيكر ومن حوله الى خدمة المانيا هناك .

في ذلك الحين كان بروكلمان قد بدأ العمل في السلك الجامعي مدرسا في جامعة برسلاو ، ثم انتقل سنة ١٩٠٠ الى برلين استاذا مساعدا بمعهد الدراسات الشرقية ، ثم عاد الى برسلاو ، وفي سنة ١٩١٠ حصل على كرسي الاستاذية بجامعة كونجزبرج .

ولم تلبث الخصومة أن نشبت بينه وبين بيكر ، لأن بروكلمان أصر على أن تسير الدراسات الشرقية في طريقها بعيدة عن تيارات السياسة ونـوازع الاستعمار . وكان قلبه قد تعلق فعلا بالدراسات العربية بعد أن زار الآستانة سنتي ١٨٩٥ ــ ١٨٩٦ باحثا عن مخطوطات كتاب الطبقات الكبير لمحمد ابن سعد كاتب الواقدي . وعندما زار الجزائر سنة ١٩٠٥ ليشترك في مؤتمر المستشرقين لم يعجبه ما رأى من اتجاه نفر كبير من المستشرقين الفرنسيين الى خدمة المصالح الاستعمارية وجنرالات الاستعمار ، فانصرف بعد المؤتمر الى القيام بجولة واسعة في الجزائر وأقام في واحة بسكرة زمنا ، وبسـكرة كانت من المواطن المحببة الى ابن خلدون وقـد اعتصم فيها حينا من الدهر كتب خلاله بعض أجزاء تاريخه الكبير . وعندما عاد بروكلمان الى برلين عول على أن ينصرف الى العلم وحده كل الانصراف تاركا مجال السياسة لبيكر ومن حوله ، واستمر يعمل في جامعة هالة ، وفي سنة ١٩٢٣ عاد الى برسلاو وهناك أقام يعمل في هدوء

تاريخ الآداب العربية

وكان بروكلمان يشغل معظم وقته حتى سنة ١٩٠٥ تقريبا بدراسة اللغة السريانية ، ففي سنة ١٨٩٥ اصدر قاموس اللغة السريانية ، وكان عملا علميا ضخما حسم نقط خلاف كثيرة حول هــذه اللغة ، وقد أعاد نشر ذلك القاموس سنة ١٩٢٢. ومن ذلك الحين لم يكتب أحد شيئا يفوق ما قام به بروكلمان في ميدان الدراسات السريانية .

وبدأ الرجل بعد اصدار القاموس السرياني يرسم خطوط مؤلفه الكبير في تاريخ الفكر العربي ، ولا يتصور ضخامة هذا العمل الا من جرت يده في كتاب بروكلمان المرة بعد المرة وتبين مقـدار الدقة والضبط الذي يتجلى في ذلك العمل الفريد في نوعه .

فان تاريخ الآداب العربية ، والاداب هنا يراد به اعمال الفكر بصفة عامة وليس مجرد تاريـخ للادب العربي ، بل هو فهرس شامل لكل المؤلفين في شتى العلوم ، وكل الموجود من مؤلفاتهم ، مع معلومات دقيقة مختصرة عن المؤلفين والمؤلفات .

وكان بروكلمان يعرف مقدما ما يتطلبه مثـل هذا العمل من جهد ، ولهذا فقد اتجه الى أن يكون التاريخ الذي يكتبه وصفا خارجيا لا تحليليا داخليا ، فهو اذا تحدث عن كاتب أو شاعر لـم يحاول تعرف اتجاهاته وآرائه ، بل يقص مراحل حياته في سطور وتواريخ ، واذا تكلم عن اعماله أحصاها ووصفها دون نقدها ودون التعرض الى طبيعة ما يقوله الرجل في هذه القصيدة أو في

ذلك الكتاب .

وضرب صفحا كذلك عن الكتب التى ورد ذكرها في الكتب الموجودة ، لأنه اهتم فقط بالموجود ، لأن اصحاب التراجم ينسبون لكل مؤلف كتبا كثيرة ضاع معظمها ، في أحيان كثيرة نجد أن هذه الكتب ليست الا فصولا من كتب موجودة لنفس المؤلف ، ولا نستطيع التحقق من ذلك الا اذا درسنا كل كاتب أو مؤلف على حدة، وهذا مطلب مفيد ولكنه مستحيل التحقيق على يد رجل واحد . وبروكلمان كان رجلا واقعيا يريد أن يقدم لنا الخدمة التى يستطيع لا الخدمة التى تظل الى الأبد في عداد التمنيات الطيبات .

وما عمله بروكلمان بعد ذلك كان عملا ضخما جدا ، ولنذكر هنا ملاحظتين هامتين : الأولى أن الرجل شرع في عمله أواخر القرن الماضي عندما كانت الغالبية العظمى من كتب العرب لا تزال مخطوطة ، وكل الكتب الرئيسية التى نعتمد عليها اليوم في التاريخ لأدبنا كانت مخطوطات ، واذا استثينا ما كان قد طبع في بولاق وفي مطبعةالجوائب في الآستانة لم نجد بعد ذلك طبعات محترمة ولا نصف محترمة لأى كاتب عربي ، حتى المصحف الشريف نفسه ، كانوا يخطئون في تصحيح تجارب الطباعة ، فلا تخلو أى طبعة من طبعاته من أخطاء مطبعية مؤسفة ، ولعل القارىء يدهش أن أول مصحف مطبوع خال من الخطأ تماما هو الذى طبعه المستشرق جوستاف فلوجل *Gustav Flugel* ! وكانت هذه الطبعة حافزا الى اصدار الطبعة المصرية الأم المعروفة بمصحف الملك فؤاد ، وهى أساس كل ما نرى بين أيدينا من مصاحف جميلة متقنة هى متعة القلب والبصر .

والملاحظة الثانية أن بروكلمان بدأ يؤرخ لأدبنا فى وقت لم يوجد فيه أى تاريخ لذلك الأدب ، فان الانسان يدهش اذا علم أن أحدا من العرب حتى سنة ١٨٩٠ لم يحاول أن يكتب تاريخا للأدب العربي ، فأما القدامى فلم يعرفوا تاريخ الأدب ، وكتبهم اما تراجم ادباء أو احصاء المؤلفات أو تقسيم الشعراء والكتاب الى طبقات أو كتب مختارات وما الى ذلك ، أما تاريخ الأدب العربي مقسما الى عصور أو على أساس تيارات واتجاهات ومدارس ، فلم نعرفه الا فى العصر الحديث .

أما أول تاريخ للأدب العربي من هذا الطراز فالفه اثنان من غير العرب هما ادوارد فانديك *Edward Vandyke* وفيليبيدس قسطنطين *Philipides Constantine* ! وقد طبع في بولاق سنة ١٨٩٢ .

وتوالت المؤلفات الحديثة بعد ذلك ، وكان أول عربي كتب تاريخا لأدبنا على المفهوم الجديد صالح حمدى حماد الذى أصدر « أدب الاسلام » فى القاهرة سنة ١٩٠٧ .

خطة الكتاب وتقسيمه

ولهذا فعندما وضع بروكلمان خطة كتابه كان فى حقيقة الأمر يبتكر شيئا جديدا ، وتصوره لهذا التاريخ ومراحله جدير منا بالتأمل لأنه أصبح بعد ذلك أساسا لكل ما كتب بعده من تواريخ للأدب العربي فى الشرق والغرب .

وقد قسم بروكلمان تاريخ الأدب العربي الى قسمين ـ أو عصرين ـ كبيرين . ثم قسم كلا منهما أقساما على النحو التالي :

أ ـ أدب الأمة العربية من أوليته الى سقوط الدولة الأموية فى سنة ١٣٢ هـ ـ ٧٥٠ م .

وقد قسم هذا العصر الكبير الى ثلاثة أقسام .

١ ـ الأدب العربي الجاهلي .

٢ ـ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .

٣ ـ عصر الأمويين .

ب ـ عصور الأدب الاسلامي العربي .

وتقسم الى ما يلي :

١ ـ عصر ازدهار الأدب أيام العباسيين فى العراق من ٧٥٠ الى ١٠٠٠ م .

٢ ـ عصر الازدهار الثاني من سنة ١٠٠٠ الى سقوط بغداد سنة ١٢٥٨ .

٣ ـ الأدب العربي خلال عصور سيادة المغول والترك الى الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧ .

٤ ـ الأدب العربي فى العصر التركي الى منتصف القرن التاسع عشر .

٥ ـ أدب النهضة والعصر الحديث .

وقد قسم بروكلمان الانتاج الفكرى فى كل عصر من هذه الى فروع بادئا بعلوم القرآن والحديث ومنتهيا بالموسوعات وفنون التسلية .

وهو يبدأ بكلمة عامة عن العصر وخصائصه الرئيسية ، ثم يتناول الفروع فرعا فرعا فيقدم لكل منها بدراسة مختصرة ، ثم يورد المؤلفين أو الشعراء واحدا واحدا . وتحت كل واحد منهم

يورد ترجمة مختصرة لحياته ثم كل مؤلفاته المطبوع منها وغير المطبوع . فالمطبوع تذكر سنة الطبع والناشر والمكان ، وتحت حيـــز المطبـــوع تذكر المخطوطات وأماكن كل منهما واحدا واحدا .

وفى أحيان كثيرة ـ عندما يتسع مجال الانتاج الفكرى العربي ـ يخصص فقرة للمؤلفين من كل بلد ، فاذا ذكر الفقه ذكر المذاهب ، ثم ذكر أعلام أهل كل مذهب فى الحجاز ثم العراق ثم الشـــام ثم المغرب ثم الاندلس وهكذا .

وفى مقدمة الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي اورد بروكلمان ثبتا بفهارس الكتب وسـجلاتها وكتالوجات المكتبات التي رجع اليها وهي ١٦٨ بعضها يتكونمن أجزاء كثيرة مثل فهارس دار الكتب بالقاهرة وفهارس الأقســام الشرقية فى مكتبات برلين وباريس ولندن وغيرها كثير .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى جزأين سنتي ١٨٩٧ و ١٩٠٢ فحمل عليه المستشرق الالماني جـورج ياكـوب *Georg Jacob* حملـة كبرى واتهم الكتاب بالنقص فى كل ناحية . وقد تاثر بروكلمان بهذا النقد الجارح تاثرا عميقا ، ولكنه ســار فى طريقه ، وراجع عمله واستكمله ، وأصدر ملحقا ضخما فى مجلدين صدرا عن دار بريل سنتي ١٩٣٧ و ١٩٤٢ وقد استوفى فيهما كل ما فاته فى الطبعة الأولى .

اول تاريخ للادب العربى الحديث وفهرس للكتب والمؤلفين لا نظير له فى الفهـــارس

وبعد ذلك بقليل ظهر المجلد الثالث من الملحق ، وفيه يؤرخ الرجل للأدب العربي الحديث ، وهنا نجده يغير منهجه بعض الشيء ، فان الرجال الذين كان يكتب عنهم كان أكثرهم معاصرين له يعرفهم ويكاتبهم وكانت كتبهم بين يديه ، ولهذا فقد دخل فى النقد الداخلي وأخذ يتكلم عن الأعلامواتجاهاتهم وآرائهم ويتعرض بشيء من التحليل لأعمالهـم . وهنا نجد أنه يتأثر أحيانا بمن يوالونه بالعون والمؤلفات ، وفى وقت ما كان هم الكثير من المؤلفين عندنا موافاة بروكلمان بكل المعلومات عن أشخاصهم ومؤلفاتهم حتى يتسع مجال الكلام عنهم فى سجل الخلود هذا .

ولكن أروع ما فى هذا الجزء الثالث من الملحق هو الفهرس الذى لا يظفر الانسان بمثله أبدا : فهـــرس من جزأين ، الأول للمؤلفين والثـــاني للمؤلفات ، فانت حينما خطر ببالك مؤلف وجدته فى فهرس بروكلمان ، ويندر أن تجد كتابا غاب عن ذكر هذا العلامة المتقن .

كان بروكلمان يعمل بنظام طوال عمره كأنه ساعة مضبوطة، يبدأ العمل فى السادسة صباحا ويستمر حتى الثانية عشرة والربع ، ثم يعود فى الثانيـــة بعد الظهر ويستمر الى السابعة والنصف مساء .

وفى الوقت الذى يكون فيه ناس كثيرون يفركون عيونهم بعد ساعتين من نومالقيلولة يكون بروكلمان قد عمل في أدبهم العربي عشر ساعات ونصف ساعة وبقيت له ساعة ونصف .

مثل هذا العمل لا يقوم به الا عن حب وايمان ، لأن الحب الصحيح ليس انتظارا كســولا لعطف الحبيب ، والايمان الصحيح ليس دعوات وتمنيات، كلاهما عمل وجهد وتضحية ومشقة .

والى جانب ذلـك كان بروكلمـــان ضليعا في التركيات وله في اللغة التركية مؤلفان لا يستغنى عنهما أحد من الدارسين في الاسلاميات .

لقد لقى بروكلمان نجاحا عظيما فى عمله لأنه كان رجل جد وعمل واخلاصللعلم شديد ، ولقى تكريما عاما لأن الناس عرفـوا قدره ، وقد عرفناه نحن وأحببناه واتصلت الصداقة بينه وبين العقاد وطه حسين وغيرهما من أعـلام الفكر عندنا ، ورحب بالفكرة عندما استاذنه طه حسين فى أن تترجم الادارة الثقافية بالجامعة العربية كتابه ، وقد قام بجزء كبير من الترجمة العلامة المرحـوم الدكتور عبد الحليم النجار .

قبل أن يصدر بروكلمان كتابـه كان الاتجاه فى أوربا يعتبر اللغة العربية لغة ســامية ميتـــة كالعبرانية والسريانية وبعد أن صدر هذا الكتاب انتقلت دراسة اللغة العربية فى الجامعات الغربية الى أقسام اللغات الحية ..

وهذا فى ذاته فضل عظيم ذكرناه جميعا عندما نعى الينا بركلمان الجليل فى ٦ مايو ١٩٥٦ .

وفى ذلك الوقت كان كتابـــه المجيد الثاني « تاريخ الشعوب العربية » يترجم الى العربية ، وهذا الكتاب ينطق بتقدير بروكلمان للعـــرب ومشـــاركته اياهم فى كفاحهم للحرية والكرامـة والرخـاء . ■■

حسين مؤنس